تابع لجانب الديني في حيــاة الملك عبد العزيز وأثره في توحيد البلاد

((الجانب الديني في حياة الملك عبد العزيز من خلال أفعاله ومواقفه ـ رحمه الله ـ))

كان الملك عبد العزيز يتمسك بعقيدة التوحيد قولاً وعملاً، ويدعو إليها، ويقول: "إن كل كلام لا يتبعه فعل فهو باطل"[١] ،فكان يبني على هذا الأساس العظيم كل قراراتِه وتصرفاته، حتى وصف بأنه "الإسلامي الداعية للحل الإسلامي"[٢] .

فالعقيدة إذاً أغلى ما يملك الملك عبد العزيز، وكان يطلب ممن يلي الأمر التزام المنهج نفسه، فقد أوصى رحمه الله ولي عهده، فقال: "تعقد نيتك على ثلاثة أمور:

أولاً: نية صالحة، وعزم على أن تكون حياتك وأن ديدنك إعلاء كلمة التوحيد ونصر دين الله، وينبغي أن تتخذ لنفسك أوقاتاً خاصة لعبادة الله والتضرع بين يديه في أوقات فراغك، تعبّد إلى الله في الرخاء تجده في الشدة، وعليك بالحرص على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ثانياً:عليك أن تجدّ وتجتهد في النظر في شؤون الذين سيوليك الله أمرهم بالنصح سراً وعلانية والعدل في المحب والمبغض، وتحكيم الشريعة في الدقيق والجليل، والقيام بخدمتها باطناً وظاهراً، وينبغي ألا تأخذك في الله لومة لائم.

ثالثاً: عليك أن تنظر في أمر المسلمين عامة...، أوصيك بعلماء المسلمين خيراً، احرص على توقيرهم ومجالستهم وأخذ نصيحتهم، واحرص على تعليم العلم لأن الناس ليسوا بشيء إلا بالله ثم بالعلم ومعرفة هذه العقيدة، احفظ الله يحفظك"[٣] .

وهكذا يقترن القول بالفعل في سبيل التوحيد الذي يعتبره الملك عبد العزيز القاعدة الرئيسة في حياة المسلمين، وكان يقظاً لكل لفظ يجرح هذا التوحيد، يتجلى ذلك في قوله: " وكلمة التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله، إني والله وبالله وتالله أقدم دمي ودم أولادي، وكل آل سعود فداءً لهذه الكلمة لا أضن بها"[٤] .

وهو في سبيل هذه العقيدة يقف أمام تيارات الوثنية والخرافات الشركية دون مداهنة أو مجاملة، حتى وإن كان في هذه المداهنة كسباً سياسياً، أو مغنماً شعبياً، يوضح ذلك الدكتور عبد الله التركي بقوله في كتابه "الملك عبد العزيز والمملكة المنهج القويم في الفكر والعمل": "عُرف عن كثير من الساسة الذين يهمهم الكسب السياسي ـ فحسب ـ أنهم يجاملون الناس ويداهنون العامة في أمور العقائد، بل إن منهم من يشارك العامة خرافاتها ووثنياتها رغبة في الشعبية وطلباً للتأييد، وكان من مقتضيات المجاراة العرفية في منطق السياسيين الذين يضحون بالعقيدة من أجل أهوائهم السياسية أن يجاري الملك عبد العزيز بعض الأعراف وطوائف من العوام في البدع والخرافات التي تنال من جلال التوحيد، ولكنه لم يفعل لأن التوحيد أغلى وأسمى وأعظم من أي اعتبار آخر"[٥].

ومن فرط اهتمامه وإحساسه بمعاني التوحيد، يقظته القوية لأي قول يجرح التوحيد أو يخل بالعقيدة، حيث التقى يوماً بزعيم عربي وفي أثناء الحديث أراد هذا الزعيم التأكيد على مسألة معينة، فقال مخاطباً الملك عبد العزيز: "وحياة رأسك، فرمقه الملك عبد العزيز بنظرة موحدة، وقال له: قل والله"[٦] .

وكان الملك عبد العزيز قد عقد العزم على تطهير الجزيرة العربية من كل عرف فاسد أو تقليد أو عادة أو خرافة تفسد على الناس عقيدتهم، وهذا الفعل لا يستخدمه ولا يقوم به إلا داعية موحد لا يقايض على التوحيد بشيء [٧]، ونحن لا نتعجب من ذلك إذا ما وقفنا على الجانب الديني في أفعاله ـ رحمه الله ـ يظهر ذلك في حرصه على القيام بالواجبات الشرعية وسياق برنامجه اليومي، فهو يطبق ما يقول بأفعاله، فهو يحرص على توجيه الناس إلى العقيدة الصحيحة والتوحيد الخالص لله عز وجل علماً وعملاً، كي يكون قدوة حسنة في أفعاله، ومن هنا يكون تأثيره أكثر، فمن أمثلة جوانبه السلوكية والعملية التي كان لها تأثيرها في نفوس الناس وبالتالي تحقيق القدوة الحسنة حرصه ـ رحمه الله ـ على إقامة الصلاة جماعة في المسجد في أوقاتها، حتى في مباحثاته السياسية مع الأوروبيين كان يتوقف لأداء الصلاة[٨] .

---

١ عبد الرحمن السبيت: من وثائق الملك عبد العزيز (479).

٢ وصفه بهذا الوصف المذكور، محمد جلال كشك، في كتابه "السعوديون والحل الإسلامي" ص:(23).

٣ الزركلي: الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز (158ـ159).

٤ محمد الشتري: الدعوة في عهد الملك عبد العزيز (262/1).

٥ انظر ص:(45) من الكتاب المذكور

٦ عبد الله التركي: الملك عبد العزيز والمملكة، المنهج القويم في الفكر والعمل (44).

٧ محمد الشتري: الدعوة في عهد الملك عبد العزيز (527/2)، عبد الله التركي الملك عبد العزيز والمملكة (45).

٨ محمد جلال كشك: السعوديون والحل الإسلامي (43).

ومن آثار تمسكه بالجانب الديني في أفعاله ـ رحمه الله ـ أنه كان يكره الغيبة في مجلسه، ويمنع المغتاب من حضور مجلسه مرة أخرى إن لم يقلع عن ذلك [٩] ،وهذا يدل على تقواه لله ـ تعالى ـ حيث كان البرنامج اليومي للملك عبد العزيز يبدأ بصلاة الفجر وينتهي بصلاة العشاء وكان يتوقف وقت الصلاة في أسفاره، وكان يصلي زيادة على الفروض السنن الرواتب والنوافل، حيث يقوم كل ليلة في الثلث الأخير من الليل يصلي ويتلو القرآن، أو يقرأ في ورد خاص به إلى أن يؤذن المؤذن فيصلي السنة، ثم يصلي الفجر جماعة، ثم ينام قليلاً، وحينما يستيقظ تعرض عليه الأعمال التي تحتاج إلى سرعة البت، وفي نهاية يومه له مجلس عام يجلس فيه قارئ يقرأ من كتب مختلفة في الحديث والتفسير والسيرة والتاريخ والأدب[١٠] .

وكان بعد أن ينتهي من كل صلاة يدعو الله قائلاً: "رب أجرني من النار"، ويكررها، ثم يقول: "لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير"، ويكررها، ثم يقول: "رب اغفر لي ولوالدي"[١١] .

ويروي الزركلي عن أحد المقربين إلى الملك عبد العزيز قوله: أخبرني أحد ضباط القصر الملكي، قال: رأيت الملك عبد العزيز في الهزيع الأخير من الليل عند صلاة الفجر قائماً عند الكعبة ويدعو الله قائلاً: "اللهم إن كان هذا الملك خيراً لي وللمسلمين فأبقه لي ولأولادي، وإن كان فيه شر لي وللمسلمين فانزعه مني ومن أولادي"[١٢] .

ومثل هذا الدعاء لا يأت إلا من رجل متمسك بأمور دينه، عنده قوة إيمان بالله، وحرص على القيام بأمور رعيته وأمته خير قيام، متديناً مستقيماً، ولهذا يروى عن الملك عبد العزيز أنه في اجتماعه المشهور مع الملك (فيصل بن الحسين) ملك العراق عام 1348هـ، اشترط الملك ألا يحضر مجلساً تعزف فيه موسيقى أو يشرب فيه دخان[١٣] .

وكان ـ رحمه الله ـ حتى في حروبه يلتزم بتقوى الله ـ تعالى ـ فقد عرف عنه أنه لا ينتهي من معركة إلا تضرع إلى الله ـ تعالى ـ بالصلاة والشكر والبكاء، وكان يطلب من جنوده عدم مخالفتهم لتعاليم الإسلام في معاملتهم لأهل البلد الذي تدور فيه رحى الحرب والقتال، فمن ذلك توصيته لجنوده عندما اقترب من أسوار بريدة قائلاً: "إننا هاجمون على البلد فاحذروا أن تؤذوا من لا يعترضكم، أو تسيئوا إليهم بشيء، حاربوا من حاربكم، وسالموا من سالمكم، أما البيوت فلا تدخلوها، والحريم لا يعتدى عليهن، ومن يعتدي عليهن يعتدى عليه"، وتم له فتح بريدة بعد عام 1322هـ ـ 1904م[١٤] .

وكان يحرص على تفقد أولاده في الصلاة، فإذا تخلف أحد أبنائه عن الصلاة أمر بسجنه هو وخدمه فترة من الوقت [١٥] ، ويذكر عبدالحميد الخطيب في كتابه "الإمام العادل" أنه زار مدرسة الأمراء في الرياض سنة 1355هـ، فلاحظ أحد أبناء الملك عبد العزيز الصغار يبكي، فسأله مدير المدرسة عن سبب بكائه، فقال: "إن أخاي أدخله والدي السجن لأنه لم يصل الصبح مع الجماعة"[١٦].

وكان ـ رحمه الله ـ صارماً حازماً في تطبيق أحكام الشرع، مما يؤكد قوة تمسكه بالجانب الديني في أفعاله ـ رحمه الله ـ دون مجاملة أو مداهنة لأحد، حتى وإن كان المتدخل في الأمر أحد أبنائه، وقد أورد الزركلي قصة ذلك الرجل القاتل الذي التجأ للأمير عبد الله الفيصل الذي حاول التوسط عند الملك ليقبل أهل القتيل الدية، ولكن الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ أصر على أن يجعل هذا الأمر بسماح أهل القتيل وتنازلهم عن القصاص بطوعهم واختيارهم ـ ابتغاء الأجر والثواب من الله تعالى ـ فلما حصل التنازل، تنازل هو عن الحق العام[١٧] ، لأنه في يده.

وهكذا نلحظ أن الملك عبد العزيز كان حريصاً على التمسك بالجانب الديني مهما كلفه ذلك من مصاعب وتضحيات، في سبيل رضا الله ـ تعالى ـ وتقواه، وكان يدعو إلى ذلك بقوله وفعله، وقد اقتدى به عدد كبير من دعاة التوحيد في العالم العربي والإسلامي، حيث كانوا يأتون ويجلسون إليه ويأخذون من أقواله ونصائحه، بل تعدى ذلك إلى الدعم المادي والمعنوي لهؤلاء الدعاة لنصرة هذه العقيدة، ومن هؤلاء الدعاة الشيخ محمد رشيد رضا مؤسس مجلة "المنار" التي نشرت مقالات التوحيد ومحاربة الشركيات، والشيخ محمد حامد الفقي، والشيخ محمود

---

٩ محمد السلمان : توحيد المملكة العربية السعودية 110

١٠ محمد الشتري: الدعوة في عهد الملك عبد العزيز 2/ 529

١١ محمد الشتري: الدعوة في عهد الملك عبد العزيز 2/ 530، فؤاد حمزة: البلاد العربية السعودية 30.

١٢ الزركلي: الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز (334)، عبد المنعم الغلامي: الملك الراشد (317ـ 318)، محمد السلمان: توحيد المملكة العربية السعودية (111).

١٣ محمد السلمان: توحيد المملكة العربية السعودية (111).

١٤ محمد إبراهيم رحمو: أضواء حول الاستراتيجية العسكرية للملك عبد العزيز وحروبه (81).

١٥ محمد السلمان: توحيد المملكة العربية السعودية (110).

١٦ عبد الحميد الخطيب: الإمام العادل (50ـ51).

١٧ الزركلي: شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز (921/3).

الألوسي، وغيرهم[١٨].

إذاً فالجانب الديني والمتمثل في العقيدة هو أغلى ما يملك الملك عبد العزيز، وأعظم كنز يكتنزه قلبه، فهو يقول: "إن سبيل رقي المسلمين هو التوحيد الخالص والخروج من أسر البدع والضلالات والاعتصام بما جاء في كتاب الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم"[١٩].

ويقول الدكتور عبد الله التركي: "لما ظهر الملك عبد العزيز بدعوة التوحيد ودين الحق استطاع بعون الله ثم بوسيلة الشوكة والسلطان أن يحمي حمى التوحيد من كل ما يخالفه ويزاحمه من عقائد وعادات وأعراف ومظاهر وأساليب"[٢٠].

ومن جملة أقوال الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ أيضاً في هذا الجانب: "توحيدي هذه البلاد إنما جاء بقوة الإيمان وقوة التوحيد، وإن أحب ما عليّ أن تجتمع كلمة المسلمين حول كلمة التوحيد والعمل بما أمر الله به ورسوله".

وكان منهج الملك عبد العزيز دائماً المطابقة بين الفكر والإنجاز، والقول والعمل، فكان يحرص ـ رحمه الله ـ على حماية المملكة من أن يتسلل إليها شيء من عقائد الكفار من نصارى ويهود وشيوعيين وغيرهم، يروي محمد ناصر الشتري في كتابه "الدعوة في عهد الملك عبد العزيز" عن صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز ـ النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام ـ قال: "عينني والدي الملك عبد العزيز أميراً على الرياض، وفي ذات يوم استدعاني على عجل، فحضرتُ مسرعاً، فقال: "أيدخل الشيوعيون بلادي وأنا على قيد الحياة؟! كأنه رأى في المنام أنه يوجد في الرياض شيوعي، قال: فأحضرنا إليه جوازات الأجانب الموجودين في الرياض حيث كانت جوازات الأجانب في ذلك الوقت تبقى عند أمير المنطقة إلى أن يغادر الأجنبي، وكان الأجانب في ذلك الوقت قلة، قال: فلما أحضرنا الجوازات إليه، فنظر في صور أصحابها فأخرج منها جوازاً، وقال: هذا هو، قال الأمير: فبحثنا عنه فوجدناه في أحد أحياء مدينة الرياض وإذا هو شيوعي، كما ذكر الملك عبد العزيز، فرحّل خارج المملكة[٢١].

وهذا الموقف يؤكد التزامه ـ رحمه الله ـ بالشريعة الإسلامية، وحماية بلاده من أعداء هذا الدين القويم، وحرصه الشديد في سبيل ذلك.

ومن جملة اهتماماته بالجانب الديني في أفعاله ومواقفه، والدالة على حمايته جانب التوحيد والعقيدة الإسلامية، حرصه الشديد على إزالة جميع مظاهر الشرك، مثل البناء على القبور وتعظيمها مما يؤدي إلى صرف شيء من العبادة لها، ومن ذلك أمره ـ رحمه الله ـ بهدم صنم ذي الخلصة في منطقة "تبالة" قرب بيشة، حيث هدم بواسطة عامل الملك عبد العزيز على تلك الناحية "عبد العزيز ابن إبراهيم" ونكّل بسدنتها وتوعدهم بالقتل إذا عادوا لبنائها[٢٢].

ويجب ـ هنا ـ أن نوضح أنّ ما ذكره "حافظ وهبة" في كتابه "جزيرة العرب في القرن العشرين" أن الملك عبد العزيز هدم بعض المساجد المقامة على القبور مداراة للمتشددين[٢٣]، غير صحيح إطلاقاً، لأن إقامة المساجد على القبور من البدع في الدين التي تجب إزالتها، حيث أن بناء المساجد على القبور يؤدي في الغالب إلى تعظيم صاحب القبر تعظيماً يصل إلى الشرك، ولذلك شددّ النبي صلى الله عليه وسلم في التحذير من ذلك قائلا : "لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"[٢٤]، وتمسكاً بالقاعدة الأصولية (سد الذرائع)[٢٥]، ومن مواقفه ـ أيضاً ـ الدالة على فهم الملك عبد العزيز لتعاليم الدين الحنيف، عندما جاء مبعوث البابا في زيارة للملكة وقال للملك عبد العزيز: نريد أن نبني كنيسة في الظهران مقابل أن نعترف

---

١٨ محمد الشتري: الدعوة في عهد الملك عبد العزيز (1/ 166ـ267).

١٩ محمد الشتري: الدعوة في عهد الملك عبد العزيز (276/1).

٢٠ عبد الله التركي: الملك عبد العزيز والمملكة، المنهج القويم في الفكر والعمل (73).

٢١ محمد الشتري: الدعوة في عهد الملك عبد العزيز (277،288/1).

٢٢ المصدر السابق (277/1)، وما جعلني أحرص على ذكر هذا الموقف للملك عبد العزيز رحمه الله هو قول النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تقوم الساعة حتى تضطرب إليات نساء دوس عند ذي الخلصة" والحديث رواه البخاري في كتاب الفتن، رقم:(7116) (باب تغير الزمان حتى تعبد الأوثان)، وفي صحيح مسلم برقم:(2906)، كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة= =حتى تعبد دوس ذي الخلصة، ومن مواقفه ـ أيضاً ـ في هذا الجانب المهم في العقيدة هدمه لقبة حواء، وقفل الزوايا المنسوبة إلى الطرق الصوفية وإبطال البدع التي كانت سائدة في ذلك الزمان. [انظر: محمد الشتري: الدعوة في عهد الملك عبد العزيز (274/1)].

٢٣ حافظ وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين (294).

٢٤ الحديث صحيح، رواه البخاري في كتاب الجنائز، باب ما يكره من اتخاذ المساجد على القبور. [انظر صحيح البخاري مع الفتح (200/3)].

٢٥ محمد السلمان: توحيد المملكة العربية السعودية (132ـ133).

بحقوقكم في فلسطين، وأن نساعدكم مادياً ومعنوياً، فغضب الملك عبد العزيز غضباً شديداً وتغيّر حاله من شدة الغضب، ثم قال له: "أما حقوقنا فلسنا بحاجة لاعترافه فيها فنحن في غنى عنه، وأما دعمنا مالياً ومعنوياً فالله لنا، وأما الكنيسة فلا أسمح أنا ومن في صلبي بأن توضع كنيسة في جزيرة العرب"، وكان الذي يقوم بالترجمة بين البابا والملك عبد العزيز، هو عبد العزيز بن معمر، حيث كان يتقن الإنجليزية[٢٦].

كذلك من مواقفه، حينما توفي الملك جورج الخامس ملك بريطانيا عام 1356هـ، 1936م، قامت الدول بتنكيس أعلام بلادها، فرفض الملك عبد العزيز ذلك بشدة قائلاً: "كيف ينكس علم يحمل شهادة لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله"[٢٧].

كما أمر ـ رحمه الله ـ بمنع دخول الخمر إلى المملكة بأية صفة كانت، وأمر كذلك بمعاقبة من يفعل ذلك سواء من السعوديين أو غيرهم، فإن كان من السعوديين يجلد مائة جلدة ويسجن لمدة عام، وإن كان من غير السعوديين يطرد من البلد فوراً، وهذا الموقف يؤكد إلى أي حد كان رحمه الله متمسكاً بالجانب الديني في أقواله وأفعاله[٢٨]، ويبرهن في الوقت نفسه على أن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان[٢٩]، ومن هنا كان الملك عبد العزيز يحرص أشد الحرص على أن يكون نظام الحكم في المملكة وفق منهج الإسلام، وفي ذلك يقول خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ـ حفظه الله ـ: "حرص الملك عبد العزيز على إنفاذ منهج الإسلام في الحكم والمجتمع، مهما كانت الصعوبات والتحديات..."[٣٠].

ويقول ـ حفظه الله ـ عن والده أيضاً: "يشهد التاريخ أن تطبيق الشريعة الإسلامية كان مبدأً أساسياً في حياته رحمه الله...، وبذلك عرفت هذه البلاد تحكيم الشريعة الإسلامية الخالدة في الدقيق والجليل، وأصبحت مثالاً صادقاً في استتباب الأمن والاستقرار"[٣١].

وكان الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ بجانب ما تقدم من مواقف خالدة وعظيمة يحب الصراحة والوضوح وقول الحق، فعندما سأل مرة جلساءه في موسم الحج عن الأسعار وعن أحوال المسلمين، فأخذ الحضور يطمئنون الملك بأن الأوضاع جيدة، والحال ممتازة، لكن أحد الحاضرين، وهو الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار كان صريحاً جريئاً، حيث قال: الحق أن الناس في تعب والأسعار مرتفعة، وقلة من الناس في يسر ورخاء، أما الأكثرية ففي شدة وعسر، فما كان من الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ إلا أن قال له:"بارك الله فيك، أشهد أنك الصادق"[٣٢]، وهذا من باب التناصح في الخير وقول الحق الذي يعتبر من ملامح المنهج القويم الذي كان يسير عليه الملك عبد العزيز، ويدعو إليه.

والملك عبد العزيز كان يدرك أهمية الجانب الديني الذي يجب أن تحتله المملكة العربية السعودية، حيث الأماكن المقدسة لدى المسلمين عامة، مما جعلها ذات أهمية استراتيجية من خلال هذا الطابع المميز، الأمر الذي يستوجب بالضرورة أن يكون تطويره لذلك مرتبطاً أساساً بتطوير عملية أداء المسلمين لفريضة الحج وتسهيل أدائهم لهذه الفريضة[٣٣]، ومراقبة ما يجري في موسم الحج، لا سيما الأمور التي لا تتفق مع أحكام الشريعة الإسلامية، أو لها مساس بالعقيدة، حيث قام ـ رحمه الله ـ بإلغاء رسوم الحج على الحجاج سنة 1371هـ، وكان لهذا القرار صداه وأثره في العالم الإسلامي آنذاك، كما قام بإنشاء مصنع كسوة الكعبة المشرفة عام 1346هـ[٣٤].

وكان الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ يدعـو إلى العقيدة السلفية عالمياً عن طريق استغلال

---

٢٦ المصدر السابق (125)، نقلاً عن مقابلة مع الأمير عبد الله بن فيصل الفرحان آل سعود، في 1407/4/3هـ، الذي تولى إمارة منطقة القصيم في الفترة من عام 1354هـ إلى عام 1366هـ، ضمن كتاب "كنت مع عبد العزيز" ص:(285)، نشر الحرس الوطني.

٢٧ أحمد عبد الغفور عطار: صقر الجزيرة (13/1).

٢٨ عبد العزيز الأحيدب: ظاهرة الأمن في عهد الملك عبد العزيز (249).

٢٩ رابح لطفي جمعة: حالة الأمن في عهد الملك عبد العزيز (254ـ255).

٣٠ جزء من الكلمة التي ألقاها خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ـ حفظه الله ـ بمناسبة صدور النظام الأساسي للحكم، وقد ألقاها يوم الأحد 1412/8/27هـ الموافق 1993/3/2م، انظر مجلة الفيصل، عدد:(252)، شهر جمادى الآخرة 1418هـ، مقال "حسني عبد الحافظ" بعنوان: "الملك عبد العزيز والنقلة الحضارية للجزيرة العربية" ص:(26).

٣١ انظر: مجلة الدارة ـ شهر رجب 1406هـ ـ ص:(9ـ 10)، من خطاب الملك فهد في افتتاح المؤتمر العالمي عن تاريخ الملك عبد العزيز في شهر ربيع الأول عام 1406هـ.

٣٢ أحمد عبد الغفور عطار: صقر الجزيرة (416/2)، ط5، 1399هـ.

٣٣ محمد إبراهيم رحمو: أضواء حول الاستراتيجية العسكرية للملك عبد العزيز وحروبه (170ـ171).

٣٤ محمد السلمان: توحيد المملكة العربية السعودية (119).

مواسم الحج في الدعوة وإيصال العقيدة الخالية من كل الشوائب إلى البلدان المختلفة عن طريق الدعوة ونشر الكتب الإسلامية وتوزيعها على البلدان الإسلامية مجاناً، وكانت له مأدبة كبرى يلتقي فيها بعلماء الدول والحجاج يتبادلون من خلالها الأحاديث المتعلقة في العقيدة والعبادة، ويدعوهم فيها إلى إخلاص العبادة لله ـ تعالى ـ ومن جملة ذلك خطبته ـ رحمه الله ـ في جموع المسلمين من حجاج بيت الله الحرام، حيث قال: " المسلم لا يكون إسلامه صحيحاً إلا إذا أخلص العبادة لله وحده، يجب أن يتدبر المسلمون معنى "لا إله إلا الله" يجب على الإنسان ألا يشرك مع الله في عبادته نبياً مرسلاً ولا ملكاً مقرباً، يجب أن يتبع المسلمون القول بالعمل، أما القول المجرد فلا يفيد، ما فائدة رجل يقول: "لا إله إلا الله" ولكن يشرك ما دون الله في عبادته، **{إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ}** [٣٥] .إن الإشراك مع عبادة الله كفر، وليس بعد الكفر ذنب، إن دين الله ظاهر كالشمس لا لبس فيه ولا تعقيد".

ثم ختم ذلك بقوله: "إن من أعظم الأوامر توحيد الله ـ جل وعلا ـ توحيداً منـزهاً عن الشرك"[٣٦].

وفي هذه الخطبة يتجلى بوضوح المنهج القويم القائم على التوحيد الخالص والتحذير من الشرك، والذي كان ينتهجه الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ ويدعو إليه، بل يعتبره نوره الذي يمشي به، ويدعو سائر الأمة إليه.

ومن مواقفه العظيمة في مواسم الحج، والدالة على تمسكه بالجانب الديني في أفعاله، وعدم مداهنته لأحد في أمور العقيدة، مهما كان وزنه، منعه ـ رحمه الله ـ للمحمل المصري من المجيء إلى مكة، وذلك بعد حج عام 1344هـ، حيث كان المحمل يأتي على جمل يتهادى بين الجموع، تحيط به موسيقاه وعساكره ودباباته، فتصايح الناس: "الصنم، الصنم" وتهافتوا يرشقونه بالحجارة وهم بملابس الإحرام، وكاد ينشب القتال بين الجانبين، لولا توسط الملك عبد العزيز بين الجموع، فانكف الناس، وهدأ الوضع، وأمر الملك عبد العزيز بحجز المحمل عن الأنظار، وأصدر أمراً بمنع مجيء المحمل إلى الحج مرة أخرى، الأمر الذي أدى إلى تكدر العلاقات بين مصر والمملكة فترة من الزمن، لا سيما في عهد الملك فؤاد، وبعد أن تولى الحكم ابنه الملك فاروق سنة 1355هـ، تحسنت العلاقات، واستمر منع المحمل المصري من المجيء للحج، لأنه بدعة في الدين، لم يكن في عهد النبوة ولا الصحابة والتابعين، ولا الدولتين الأموية والعباسية[٣٧] .

وهذا موقف عظيم للملك عبد العزيز يدل على اهتمامه بتصحيح العقيدة وحرصه الشديد على تأصيلها في نفوس المسلمين مهما كلفه ذلك من تضحيات، حيث أن الملك فؤاد عندما علم بذلك أمر بمنع إرسال كسوة الكعبة وأوقاف الحرمين في الديار المصرية [٣٨]،رغم حاجة المملكة المادية في ذلك الوقت، ولكن في سبيل العقيدة الإسلامية والذب عنها يهون لدى الملك عبد العزيز كل غالٍ وعزيز، ومن كان مع الله ـ تعالى ـ بصدق نية وحسن معتقد، فالله ـ عز وجل ـ كفيل بنصرته ورزقه والتمكين له، وهذا ما حصل للملك عبد العزيز بتوفيق الله تعالى وتأييده له، وهو في نفس الوقت امتحان وابتلاء للمؤمنين الصادقين، فليس لدى الملك عبد العزيز أعظم من إقامة كلمة التوحيد، والتمسك بالدين الخالي من كل بدعة [٣٩] ، كما حصل في موقفه من المحمل المصري الآنف الذكر، والله يؤيد بنصره من يشاء.

يقول الملك عبد العزيز مؤكداً ما ذكرناه ومطبقاً له: " إن أساس التشريع والأحكام لا يكون إلا في كتاب الله، ومما جاء عن رسوله صلى الله عليه وسلم، أو ما أقره علماء الإسلام عن طريق القياس أو أجمعوا عليه مما ليس في كتاب أو سنة"[٤٠] .

وهذا ما فعله رحمه الله في قضية المحمل، حيث دعا إلى تحكيم الشرع فيه، من خلال حديث أدلى به لصحفي مصري سنة 1354هـ، جاء فيه قوله: "لا خلاف بيني وبين مصر، وأمر المحمل متروك إلى الدين وإلى حكام الشرع، في مصر علماء علينا أن نستفتيهم، وأنا معهم فيما يأتون به من الكتاب أوالسنة، أبلغ مصر عني أن حكومتي على استعداد لكل تساهل تطلبه الحكومة المصرية يتفق مع الشرع"[٤١] .

---

٣٥ سورة النساء؛ آية:48.

٣٦ محمد الشتري: الدعوة في عهد الملك عبد العزيز (279/1ـ280).

٣٧ الزركلي: الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز (126)، حافظ وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين (297).

٣٨ الزركلي: الوجيز (127)، محمد السلمان: توحيد المملكة العربية السعودية (119).

٣٩ عبد الرحمن السبيت وآخرون: من وثائق الملك عبد العزيز (305ـ287).

٤٠ محمد إبراهيم رحمو: أضواء حول الاستراتيجية العسكرية للملك عبد العزيز وحروبه (143).

٤١ الزركلي: الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز (127).

فمرد الأمور جميعها لدى الملك عبد العزيز إلى أحكام الشريعة الصالحة لكل زمان ومكان. وهو إلى جانب صلته بالله ـ تعالى ـ وخوفه منه، له صلة به تعالى لا حدود لها، لأنه كان منذ نشأته، وفي جميع أدوار حياته قد لازم طاعة ربه عز وجل[٤٢].

ومن مواقفه ـ أيضاً ـ في مواسم الحج وحرصه ـ رحمه الله ـ في سبيل إعلاء كلمة الدين، وجهوده في تأصيل العقيدة الإسلامية عالمياً، مخاطبته لحجاج الهند، حيث قال ـ بعد أن حمد الله وأثنى عليه ـ: "إن أول ما يلزمنا من الإسلام هو كلمة الشهادتين، ومعنى الشهادة "لا إله إلا الله" إنها تفيد إثبات وحدانية الله ـ سبحانه وتعالى ـ لا يوجد إنسان غير مذنب لأن العصمة لله وحده، ولكن الذنوب على درجات منها ما لا يمكن معه صفح أو غفران، وهو الشرك بالله" [٤٣]، وهكذا نرى أن جهاد الملك عبد العزيز كان يرتكز أولاً على تحقيق التوحيد، لأنه كان رجلاً موحداً مخلصاً ملتزماً بمنهج السلف الصالح في توحيد الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، لا يدعو غير الله، ولا يسأل غير الله، ولا يشرع ما لم يأذن به الله[٤٤].

ومن جملة جهوده ـ رحمه الله ـ في مجال الاهتمام بالعقيدة الإسلامية وتصحيحها عالمياً إضافة إلى ما تقدم، هو اجتهاده الكبير في إخراج المؤلفات القيمة التي تهتم بنشر العقيدة السلفية الخالصة من أدران الشرك، مثل كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن قيم الجوزية، وكتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وغيرها، وإيصالها إلى أيدي الناس وطلبة العلم في البلدان المختلفة، وقد قاربت الكتب التي طبعت على نفقته المائة كتاب على اختلاف أحجامها، وطبع بعضها في مصر والشام والهند[٤٥].

وكان ـ رحمه الله ـ لا يألو جهداً في تقديم الدعم المادي لجهود بعض العلماء العلمية وتأييده وتشجيعه لذلك، ومن هؤلاء فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ـ المفتي العام للمملكة العربية السعودية حالياً ـ والشيخ عبد الله القرعاوي ـ رحمه الله ـ في جنوب المملكة، ودعوته الإصلاحية فيها، وكان الملك عبد العزيز يحرص على تشجيع طلبة العلم ودعمهم، لا سيما بعد ظهور التعليم الحديث في المملكة وتطوره[٤٦].

وكان يتابع ـ رحمه الله ـ كل اتجاه إسلامي صحيح، في أنحاء العالم الإسلامي، ويقدره ويشجعه، ومن ذلك الأزهر في مصر، حيث كان ينصح الملك فاروق بقوله: "قوتان في مصر يجب أن تكسبهما: الأزهر والجيش، وأنت لا تستطيع قهرهما ولا الحكم بدونهما، فاحرص على كسبهما"[٤٧]. وهذا يدل على محبته للمسلمين في كل مكان ومناصحته لهم فيما يخدم مصلحة الإسلام والمسلمين، ويعلي كلمة الله في الأرض.

وكان ـ رحمه الله ـ رغم انشغاله بهموم المسلمين ومتابعته لأحوالهم ومناصحته لهم لم يغفل عن الأوضاع الداخلية في المملكة، لا سيما ما يتعلق بالأمور الدينية والعقيدة الإسلامية، فقد اهتم بهذا الجانب كثيراً، فأنشأ ما يسمى بـ "مشروع الهجر" وهو توطين البادية وتحضيرهم، فقد كان لمعيشة الملك عبد العزيز فترة من الزمن في البادية بعد سقوط الدولة السعودية الثانية أثره الكبير في معرفة مشكلات البدو، وبالتالي كان يدرك خطر جهلهم بالدين والعقيدة لاسيما فيما يتعلق ببعض العادات والتقاليد التي تتنافى مع الشرع [٤٨]، لذلك كان في طليعة أهدافه وتطلعاته أن يجمع شمل هذه القبائل، فأسس لها هذا المشروع العظيم، بعد أن شخص الداء وعرف الدواء، ولا شك أن لمشروع الهجر أهداف متنوعة، سواء كانت دينية أو سياسية أو

---

٤٢ عبد المنعم الغلامي: الملك الراشد عبد العزيز آل سعود (317ـ319).

٤٣ محمد الشتري: الدعوة في عهد الملك عبد العزيز (280/1).

٤٤ نفسه (281/1)، ثم انظر: عبد الله التركي:الملك عبد العزيز والمملكة المنهج القويم في الفكر والعمل (44).

٤٥ محمد الشتري: الدعوة في عهد الملك عبد العزيز (281/1)، محمد السلمان: توحيد المملكة العربية السعودية(130).

٤٦ عبد الله أبو راس، وبدر الدين أديب: الملك عبد العزيز والتعليم (74)، وسوف أتعرض بالتفصيل لاحقاً لعناية الملك عبد العزيز بالعلم وتقديره للعلماء، وجهوده في نشر الكتب الإسلامية وتسميتها ـ إن شاء الله تعالى ـ ولمزيد من التفاصيل حول جهود الشيخ القرعاوي في الجنوب، انظر: "موسى بن حاسر السهلي: الشيخ عبد الله بن محمد القرعاوي ودعوته في جنوب المملكة العربية السعودية، طبعة 1413هـ".

٤٧ محمد جلال كشك: السعوديون والحل الإسلامي (50)، ط1402هـ.

٤٨ الزركلي: شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز (259/1)، أحمد عسه: معجزة فوق الرمال (62)، محمد جلال كشك: السعوديون والحل الإسلامي (574)، محمد السلمان: توحيد المملكة العربية السعودية (192)، نفس المؤلف: الهجر ودورها في الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز، مجلة الفيصل، العدد:(252)، جمادى الآخرة 1418هـ، ص:(24).

اجتماعية أو ثقافية أو عسكرية أو اقتصادية[٤٩] .
ولكن الهدف الديني يبدو أنه كان ضمن أهم العوامل التي كان يهدف إليها الملك عبد العزيز من هذا المشروع حيث يتمثل في تآخي هذه القبائل مع بعضها البعض تحت رابطة الإيمان والأخوة الإسلامية وتعليمهم مبادئ الدين الإسلامي الحنيف على الوجه الصحيح المستمد من كتاب الله ـ تعالى ـ وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، لأن الملك عبد العزيز كان على يقين تام بأن البادية لن تستقيم أحوالها إلا بالاستقرار وتقويم ما اعوج من عادات وتقاليد لا تمتّ إلى الإسلام بصلة[٥٠] ، فكان أن قام بهذا المشروع الذي أطلق عليه اسم (الهجر) لكونها ترتبط دينياً واجتماعياً وحضارياً بمفهوم الانتقال من حالٍ إلى حال، وكانت أولى هذه الهجر "الأرطاوية" وهي هجرة كبيرة تقع بالقرب من المجمعة، وخُصِّصت لمطير، وتضم أيضاً عشيرة العريمات، ثم كانت هجرة الغطغط لعتيبة، ودخنة لحرب، ولينة لعشائر شمر، وغيرها، ثم توالى بعد ذلك إنشاء الهجر لتصل إلى أكثر من 122 هجرة[٥١] .
وفكرة إنشاء الهجر فكرة جديدة لم يسبق أحد بها الملك عبد العزيز، وهي خطوة جريئة لم يسبق لها من قبل، فأصلح أحوالهم وأكرمهم، فاستقامت أمورهم، وأمر الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ بحفر الآبار لهم، ووفر لهم آلات الفلاحة والزراعة، وجعل لقبائل البادية سجلاً في ديوانه، وسهل لكل منها سبل الاتصال به وبأمراء المقاطعات، ثم تعددت الأعمال التي يزاولها أهل الهجر إذ شملت الزراعة والصناعة والتجارة والرعي والوظائف الحكومية، بعد أن كان ليس لهم مورد سوى طريق الرعي فقط[٥٢] .
والذي يهمنا هنا في موضوع "الهجر" وتوطين البادية، ما يتعلق في البحث، وهو الجانب الديني في حياة الملك عبد العزيز، حيث يتجلى ذلك في أن حياة البدو والغزو والسلب والتفرق وسفك الدماء والعادات المخالفة، لا تقوم معها حياة دينية ولا دنيوية مستقرة، فأخذ الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ يسكنهم هذه الهجر ويشجعهم على التعليم الديني وتلقي علوم دينهم، والتعمق في فهم العقيدة السلفية وأصولها، ومختصرات الشيخ محمد بن عبد الوهاب في ذلك على أيدي المشايخ والدعاة وأئمة المساجد وطلبة العلم الذين كان يبعثهم الملك عبد العزيز إلى تلك الهجر، يعلمونهم الدين، ويعمقون في أنفسهم التوحيد وفرائضه، وما أوجبه الله وما حرمه، فاستجاب البادية لدعوتهم[٥٣] ، وأصبحت الهجر منطلقاً للتوحيد وموطناً للتحضر، ونجح العلماء في إعادة نور التوحيد من جديد لهذه الهجر، فأثمر هذا النجاح عن وحدة قوية بين القبائل على أساس عقيدة التوحيد، وتسموا بالإخوان دلالة على رفع الفروق بينهم وصيرورتهم إخواناً في الله، وأصبحوا جنوداً مهيئين دائماً لخوض ساحات الوغى والقتال في سبيل رفع راية التوحيد، يسيرون بأمر قائدهم العظيم الملك عبد العزيز آل سعود في أي وقت شاء، واتخذوا كلمة (أنا أخو من طاع الله) شعاراً لهم[٥٤] ،ولا شك أن هذا العمل العظيم الذي قام به الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ يدل دلالة أكيدة على شدة تمسكه بالجانب الديني واهتمامه بشؤون رعيته الحاضرة والبادية قريبهم وبعيدهم، وهذا يؤكد ما أشرنا إليه سابقاً، وهو أن شخصية الملك عبد العزيز كانت محبة للتوحيد متمسكة به، ولها أثرها في الناس، وليس أدل على ذلك بأن تجسدت هذه العقيدة في جميع إنجازاته، وخاصة ذلك المجهود العظيم الذي تجلى في ترسيخ العقيدة الصحيحة بين أهل البادية، حتى ذكر غير واحد من مؤرخي الغرب أن عملية توطين البادية التي جرت في صدر العهد

---

٤٩ محمد المانع: توحيد المملكة العربية السعودية (111)، محمد السلمان: توحيد المملكة العربية السعودية(192).

٥٠ محمد الشتري: الدعوة في عهد الملك عبد العزيز (272/1).

٥١ صلاح الدين المختار: تاريخ المملكة العربية السعودية (145/2)، الزركلي: شبه الجزيرة (263/1)، عبد المنعم الغلامي: الملك الراشد (127)، عبدالله حمد الحقيل: وميض من سيرة الملك عبد العزيز، ظاهرة توطين البادية، مجلة الدارة، العدد الثاني، السنة الحادية عشرة، محرم 1406هـ، ص:(120).

٥٢ الزركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز (450/2)، محمد السلمان: الهجر ودورها في الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبد العزيز، مجلة الفيصل، عدد:(252)، جمادى الآخرة 1418هـ، ص:(24).

٥٣ صالح العبود: عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (609)، سعود الدريب: المنهجية السلفية وإقامة الدولة العصرية، مجلة الحرس الوطني، العدد:(35)، السنة السادسة، شهر محرم 1406هـ، ص:(41)، نفسه: الملك عبد العزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي في المملكة، مجلة الدارة، العدد الأول، السنة الثانية عشرة، شوال 1406هـ، ص:(19).

٥٤ محمد الشتري: الدعوة في عهد الملك عبد العزيز (273/1)، سعود الدريب: المنهجية السلفية ص:(41)، مجلة الحرس الوطني، هامش:(2)، وانظر: محمد البديوي: المتوكل على الودود عبد العزيز آل سعود (265).

السعودي تعد أكبر عملية توطين منظم في تاريخ البشرية[٥٥]. والفضل ما شهدت به الأعداء.

وفي هذا الصدد يقول حافظ وهبه: "إن من أعظم المشروعات الإصلاحية التي قام بها الملك عبد العزيز: مشروع تحضير البادية وإقطاعهم الأراضي للسكنى والزراعة، وتعليم المبادئ الدينية ومكارم الأخلاق"[٥٦]. ولا شك أنه حصل نجاح عظيم لإصلاحات الملك عبد العزيز وإقبال على دين الله خاصة من البدو الرحل، فقد أقبلوا على الهجر يبنونها بمساعدة الملك عبد العزيز، ويبني لهم المساجد، ويبعث إليهم المشايخ والأئمة وطلبة العلم يعلمونهم دين الله الذي جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم، حتى تم تهجيرهم وأقبل الناس على بناء حضارة إسلامية، وأغدق الله عليهم من نعمه الكثيرة في الدين والدنيا، والعلم والقراءة، والأمن والاستقرار، وما لا يحصى من النعم"[٥٧].

وكان من نتيجة توطين البادية ومشروع الهجر، وتأصيل العقيدة الإسلامية والتوحيد الخالص في نفوس أبناء القبائل التي كانت متعادية متناحرة، ما ذكره الزركلي بقوله: "... وكانت النتيجة ما نراه، يسير الأعزل المنفرد راكباً أو راجلاً يحمل الذهب والفضة والقراطيس المالية، فيطوف شبه الجزيرة، سهولها وحزونها، وعامرها وغامرها، فلا يعترضه من أهلها معترض ولا يخاف صولة طامع أو وثبة لص"[٥٨].

وهذا من فضل الله تعالى لعباده المؤمنين الصادقين الذين يعبدونه ولا يشركون به شيئاً، وتوفيقه جلت قدرته للملك عبد العزيز عندما أعانه ووفقه لمثل هذا المشروع العظيم فأحيى السنة المحمدية وقمع البدعة المحدثة[٥٩].

والآن ننتقل إلى جانب من الجوانب الدينية الهامة، وقد أولاه الملك عبد العزيز اهتماماً كبيراً، كيف لا، وهو يمثل ركيزة هامة من ركائز الدين الإسلامي، بل إن الله ـ تعالى ـ امتنّ على هذه الأمة الإسلامية به، وجعله من خصائصها، ألا وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول الله تعالى في محكم كتابه: **{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ}**[٦٠]. ويقول جلّ شأنه: **{وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}**[٦١]. ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"[٦٢]. والآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، الأمر الذي يؤكد على أهميته ومكانته في الدين[٦٣].

وقد عُرف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قديماً في التاريخ الإسلامي باسم "الحسبة"[٦٤]، وقد أولاه الملك عبد العزيز جُلَّ جهده واهتمامه ـ كما أسلفت ـ فيذكر المؤرخون الذين كتبوا عن الحسبة في الدولة السعودية أن تأسيس أول هيئة رسمية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تم في عصر الدولة السعودية الثالثة على يد الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ[٦٥]، فاختار نخبة من العلماء الأفاضل لهذا الرسالة السامية، فأمروا بالمعروف ودعوا إلى الخير والصلاح والفضيلة بالوعظ والإرشاد، وجعل مهمتها تتبع الأمور من جهة المعاملات والعادات، فما وافق الشرع أقروه، وما خالفه أزالوه ومنعوه، وحث الناس على أداء الصلوات الخمس جماعة في المسجد، ومراقبة المساجد من جهة الأئمة والمؤذنين ومواظبتهم وحضور الناس بها، ومنع البذاءة

---

٥٥ انظر: حسني عبد الحافظ: الملك عبد العزيز والنقلة الحضارية للجزيرة العربية، مجلة الفيصل، عدد:(252)، شهر جمادى الآخرة، 1418هـ، ص:(27).

٥٦ حافظ وهبه: جزيرة العرب في القرن العشرين (288).

٥٧ صالح العبود: عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (609).

٥٨ الزركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز (451/2).

٥٩ صلاح الدين المختار: تاريخ المملكة العربية السعودية (147/2) وما بعدها.

٦٠ سورة آل عمران؛ آية:110.

٦١ سورة آل عمران؛ آية:104.

٦٢ الحديث صحيح، رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب كون النهي عن المنكر من الإيمان [صحيح مسلم بشرح النووي (21/2ـ25)].

٦٣ حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وضوابطه ومراتب تغيير المنكر وأقوال العلماء في ذلك انظر: "ابن تيمية: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(18)، أبو بكر الخلال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(36ـ45)، عبدالله آل قعود: أثر الأمر بالمعروف والنهي في حياة الأمة (26ـ 27)، عبد الكريم زيدان: أصول الدعوة (189ـ190)، السامرائي: مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (66ـ67).

٦٤ منير العجلاني: تاريخ البلاد العربية السعودية (281/1ـ282).

٦٥ رابح لطفي جمعه: حالة الأمن في عهد الملك عبد العزيز (95).

اللسانية، والضرب بيد من حديد على يد كل فاجر وفاسق ومكابر، وغير ذلك من دواعي الإصلاح[٦٦].

ولا شك أن الدولة تمنح رجالها حق السلطة التنفيذية في حدود معينة كي يتمكنوا من حمل الناس على الالتزام بأوامر الشرع والوقوف عند نواهيه، وعندما فتح الملك عبد العزيز الرياض سنة 1319هـ كان العلماء يقومون بواجبهم في الاحتساب على مستوى فردي تطوعاً لله ـ عزوجل ـ ومن أولئك الشيخ عبد العزيز بن عبد اللطيف آل الشيخ (ت: 1354هـ)، وكان رجلاً مهيب الجانب، ثم بعد أن استقرت الأمور نسبياً واتسعت نظم الحكم كلف الملك عبد العزيز الشيخ عبد العزيز آل الشيخ ليقوم على ولاية الاحتساب، وزوده بأعضاء يساعدونه في مهمته منهم: الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ، والشيخ عبد الرحمن بن إسحاق آل الشيخ، والشيخ عبد اللطيف ابن إبراهيم آل الشيخ، ثم اتسع نطاق الحسبة ليشمل تولي أمورها في المنطقة الوسطى والشرقية والحدود الشمالية [٦٧] ، واستكمالاً للمسيرة في حقل الإصلاح الديني أصدر الملك عبد العزيز أمراً بعد دخوله للحجاز بتأسيس أول هيئة رسمية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الحجاز بعد مكاتبات تمت بينه وبين رئيس القضاة في إقليم الحجاز الشيخ "عبد الله بن بليهد" الذي كلف باختيار رئيس الهيئة والمعاونين، وقد تشكلت الهيئة من علماء مكة ونجد برئاسة الشيخ "عبد الله الشيبي" ومعه ثمانية أعضاء من أهل مكة وأربعة أعضاء من أهل نجد، وهذا يدل على أن الملك عبد العزيز رأى في تكوين هذه الهيئة أن تكون من مقومات الوحدة والاستقرار الفكري للدولة، وكان الأساس في إنشاء هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو مراقبة تنفيذ أحكام الشرع وإقامة الشعائر، وحث الناس على الطاعة وأداء الصلوات الخمس جماعة، وأن تتخذ في سبيل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جميع الوسائل الموصلة إلى ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة، وإذا أعياها أمر من الأمور رفعت مذكرة إلى ولي الأمر لإجراء اللازم[٦٨] .

وهكذا عمم الملك عبد العزيز نظام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليشمل جميع مناطق المملكة وفي كل مدينة منها، وقد كان للعمل الذي بذلته ـ ولا تزال تبذله ـ هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الأثر الحسن المحمود في إصلاح المجتمع وحماية الأخلاق والقضاء على الفساد بصوره المختلفة، بتأييدٍ ودعمٍ من الدولة، فَسَادَ الأمن والطمأنينة أنحاء المملكة، حيث كان القائمون على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ينتشرون أيام الملك عبد العزيز في جميع أنحاء البلاد يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويرشدون الناس إلى الخير، وإلى أداء الصلاة في مواعيدها المحددة في المساجد، فيطوفون بالأسواق، وإذا ما أُذِّنَ للصلاة في أي وقت من أوقاتها أخذوا يرددون "الصلاة الصلاة" ـ كما هو الحال الآن ولله الحمد ـ.

ثم شمل عملهم نواحي أخرى غير الصلاة، فكانوا يراقبون الموازين والمكاييل في الأسواق، وكذلك مراقبة أي مخالف للنظم الدينية في الطرق العامة[٦٩] .

ومن هنا أصبحت هناك هيئة يقوم هدفها الأساسي على غرس القيم الشرعية ومقاومات المخالفات، وتحويل الدعوة من نماذج فردية متناثرة إلى نظام عام يسود المجتمع ويقف صامداً في وجه عوامل الهدم بالوسائل العلمية والجهود المؤثرة والتعاون المخلص لتحقيق الهدف المنشود المؤدي إلى الخير والفلاح[٧٠] .

ويحسن بنا أن نختم في هذا الصدد بكلمة العقيد "جميل محمد الميمان" حول هذا الجانب الهام وهو الرجل الذي عمل في مجال الأمن في المملكة فترة من الزمن ولذا فحديثه عن تجربة قريبة وبالتالي يؤخذ في الاعتبار، وهذا نص حديثه: " بصفتي أحد رجال الأمن في المملكة العربية السعودية أسجل هنا بكل صراحة كلمة حق هي أنه لولا وجود هيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقيامها بواجبها ورسالتها السامية دون كلل أو ملل بتأييد من الحكومة لكانت المجتمعات السعودية في وضع مخل أخلاقياً ولما أمن المواطن على عرضه، وهي بما تقوم به من أعمال جليلة هادفة إلى الخير والإصلاح ومحاربة الرذيلة بصورها المختلفة...،لا يسعني إلا أن أتوجه بالدعاء إلى الله بطلب الرحمة والغفران لمؤسس الدولة السعودية الملك عبد العزيز الذي أمر

---

٦٦ نفسه ص:(95)، محمد السلمان: توحيد المملكة العربية السعودية (183).

٦٧ محمد الشتري: الدعوة في عهد الملك عبد العزيز (323/1)، سعود الدريب: المنهجية السلفية وإقامة الدولة العصرية، مجلة الحرس الوطني، العدد: (35)، محرم 1406هـ، ص:(40)، نفسه: الملك عبد العزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي في المملكة (24).

٦٨ محمد الشتري: الدعوة في عهد الملك عبد العزيز (328/1ـ 329)، محمد السلمان: توحيد المملكة العربية السعودية (183ـ 184)، عبد العزيز الأحيدب: ظاهرة الأمن في عهد الملك عبد العزيز (183).

٦٩ رابح لطفي جمعه: حالة الأمن في عهد الملك عبد العزيز (96)، محمد السلمان: توحيد المملكة العربية السعودية (184).

٧٠ محمد الشتري: الدعوة في عهد الملك عبد العزيز (324/1).

بإنشاء هذه الهيئات"[٧١].

وهذه الشهادة من أحد رجال الأمن تعد من مآثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتي لا تزال ـ ولله الحمد ـ تؤدي رسالتها على الوجه الأكمل بدعم وتأييد من ولاة الأمر في هذه المملكة التي تطبق أحكام الشريعة الإسلامية وتدعم العقيدة السلفية، وهذا من فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

ولا يفوتنا في هذا المقام، ونحن نتحدث عن الجانب الديني في حياة الملك عبد العزيز من خلال أفعاله ومواقفه، أن نعرّج على عدل الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ لارتباطه الوثيق بجملة أفعاله ومواقفه، فقد كان الملك عبد العزيز ملكاً عادلاً يكره الظلم ويقاومه بكل السبل، وقد نعمت المملكة العربية السعودية بالتمسك بالشريعة الإسلامية قولاً وعملاً، وتطبيق الحدود الشرعية في أرضها وعلى شعبها بكل دقة، الأمر الذي جعل الأمن والاستقرار والرخاء هو السمة المميزة لهذه البلاد ـ بفضل الله وتوفيقه ـ لذلك نجد أن الفرق كبير والبون شاسع عندما نقارن الوضع الأمني في المملكة مع أقوى الدول في العالم وأعظمها تطوراً وصناعة واقتصاداً، وفي هذا الصدد يقول صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز، ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني: "إن هذه البلاد ولله الحمد تستمد دستورها وقيمها من كتاب الله وسنة رسوله، وتحافظ على عقيدتها الإسلامية التي لولاها لكنا مثل غيرنا في المسلك والهوى، فيجب علينا شكر الله على نعمه الجزيلة، وأولها نعمة الإسلام والأمن والاستقرار التي نعيش فيها، فما دمنا متمسكين بعقيدتنا الإسلامية، فلن نضيع بإذن الله"[٧٢].

ومع شدة تمسك حكومة المملكة العربية السعودية بتطبيق حدود الشريعة الإسلامية ماضياً وحاضراً ـ ولله الحمد ـ إلا أنها دائماً ما تتعرض، ولا تزال تتعرض لحملات النيل والتشويه والهجوم الشرس من بعض المنظمات والهيئات التي تدعي وتتشدق بالدفاع عن حقوق الإنسان، وقد ذكر صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية أكثر من مرة وفي أكثر من مناسبة، "أن المملكة مستهدفة من الأعداء لأنها متمسكة بالشريعة الإسلامية التي هي دستورنا الحقيقي الذي نحكم به من خلال كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهذا من فضل الله على هذا الشعب وعلى قيادة هذا البلد، لهذا نحن نحارب ـ والحديث لا يزال لسمو الأمير نايف ـ من وسائل إعلام الأعداء بكل الوسائل"[٧٣].

ومع كل تلك الحملات والادعاءات بقيت ـ ولله الحمد ـ المملكة العربية السعودية هي قدوة المسلمين في هذا الجانب، تحاول أن تحذوَ حذوها الدول الإسلامية الأخرى وتستفيد من منهجها العظيم المستمد من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم والذي كان يحرص الملك عبد العزيز من خلاله على تطبيق أحكام الشريعة على الجميع، لا فرق بين كبير وصغير، وغني وفقير، فلم يسمع بتميز شخص عن آخر أمام حدود الله، وهو القائل: " إن التفاضل لا يكون إلا بالتقوى، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى، كلكم لآدم وآدم من تراب"[٧٤].

ومن الأمثلة الدالة على عدل الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ وأن الجميع أمام الشريعة سواء، أن أحد أفراد أسرته ضرب أحد الجنود فاستدعاه في الحال وانهال عليه ضرباً ليشعره بأن الجميع سواء في الحقوق والمعاملات، لافرق بين جندي وأمير، صغير وكبير[٧٥].

والملك عبد العزيز لم يكن يعتمد في تثبيت الأمن وإقراره في البلاد على قوة الأجهزة الأمنية فقط، ـ بعد الله تعالى ـ بل كان يعتمد على حزمه وصرامته في تطبيق الشريعة الإسلامية والتي كانت تطبق بكل دقة، ثم يصدق الملك عبد العزيز عليها بنفسه[٧٦]، ولذلك اعتبر بعض الباحثين أن من أعمدة شخصية الملك عبد العزيز النزاهة والعدل، لأن تعامله مع كل إنسان بدءاً من البسطاء من الناس إلى الزعماء والملوك الأجانب، كان يتسم بالنزاهة التامة والصراحة الكاملة، وكان أحد الشعارات المؤثرة لديه "لا يدوم الملك بدون عدالة" ولكونه ـ رحمه الله ـ متديناً مستقيماً مطبقاً لأحكام الشرع، لم يقم بأي محاولة لاستثناء نفسه من أحكام الشرع، فكان إذا أقام أي إنسان من رعاياه دعوى ضده، عيّن وكيلاً عنه ليتحاكم معه لدى قاضٍ يثق بحياده، وكان

---

٧١ العقيد جميل الميمان: القصاص في الإسلام وأثره في استتباب الأمن واستقراره في المملكة العربية السعودية ص:(34)، ضمن كتاب "حالة الأمن في عهد الملك عبد العزيز" لمؤلفه رابح لطفي جمعه ص:(96ـ97).

٧٢ محمد السلمان: توحيد المملكة العربية السعودية (150)، وقد تحدث الأمير عبدالله بذلك خلال استقباله مديري وعمداء جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ونشرته جريدة عكاظ، عدد:(9945)، في1414/5/10هـ، ص:(3).

٧٣ محمد السلمان: توحيد المملكة العربية السعودية (151).

٧٤ سعود الدريب: الملك عبد العزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي في المملكة (32).

٧٥ عبد المنعم الغلامي: الملك الراشد عبد العزيز آل سعود (348).

٧٦ محمد السلمان: توحيد المملكة العربية السعودية (116).

يخضع لحكم الشرع مهما كانت نتيجته[٧٧] .

وهكذا فالعدل أساس الملك ـ كما يعبر أمين الريحاني ـ فهو يقول موضحاً عدل الملك عبد العزيز واستتباب الأمن في بلاده: "إذا كان العدل أساس الملك، فالأمن أول مظهر من مظاهره، بل ما وجدت خارج نجد بلاداً تتمثل فيها هذه الحكمة "العدل أساس الملك" ذاك التمثل الصحيح الشامل، ذاك التمثل المعجب المخيف معاً، عدل ابن سعود كلمة تسمعها في البحر والبر، وما عدل ابن سعود غير الشرع..."[٧٨] .

ثم أوضح الريحاني أن من يدخّن مثلاً يجلد، وكذلك من لا يصلي، أما أحكام الشرع فمعروفة إلا أنها تُنَفّذ بلا تردد ولا محاباة، ولا يعرف ابن سعود في سبيل العدل كبيراً أو غنياً، كل الأيدي الأثيمة عند الحاكم سواء، وكل الرؤوس سواء عند السياف[٧٩].

ثم أورد بعض النماذج على تطبيق العدل وحفظ الأمن في عهد الملك عبد العزيز [٨٠] ، ومن هنا كانت مقاومة الجريمة في المملكة ناجحة بدرجة كبيرة، ولذا كان المجرم يقبض عليه في وقت قصير جداً من ارتكاب جريمته دون جهد وعناء، وقد قبض أحد خدم الملك عبد العزيز على قاتلين في تثليث في المنطقة الجنوبية واقتادهما على بعير واحد إلى الرياض، الأمر الذي يؤكد ما نقول[٨١] . ومن مواقفه الدالة على عدله وحزمه في تطبيق أحكام الشرع دون مجاملة أو تمييز، ما حدث في عهده ـ رحمه الله ـ من أن ثلاثة أشخاص من أسر لها وزنها ومكانتها في البلاد اشتركوا في قتل صديق لهم عمداً بعد شربهم الخمر، فأحيلوا إلى المحكمة الشرعية الكبرى فأصدرت حكماً بإعدامهم بعد استيفاء شروط قتلهم، فتدخل أعيان ووجهاء البلاد لإنقاذ حياتهم، والتمسوا من الملك تأجيل تنفيذ حكم فيهم لمدة أسبوع واحد حتى يتسنى لهم بذل الجهود والتوسط لدى أولياء المقتول في سبيل الحصول على تنازلهم عن حقهم الشخصي مقابل أي مبلغ من المال يطلبونه، فما كان منه ـ رحمه الله ـ إلا أن أمر بسرعة تنفيذ حكم القتل في القتلة الثلاثة، ونُفِّذ فيهم الحكم ضرباً بالسيف، وعُلقوا في موضع بارز على واجهة مقر الأمن العام المواجه للحرم المكي الشريف، ولم يأبه بمكانة أهل الجناة ولا بمنزلة أعيان ووجهاء البلاد الذين توسطوا في تأجيل تنفيذ عقوبة القتل، وكان قتلهم بعد ثمانية أيام فقط من الإمساك بهم واعترافهم[٨٢].

ولاشك فقد كان لتنفيذ حكم القتل في هؤلاء القتلة أعمق الأثر في استتباب الأمن وقمع المجرمين والقضاء على المفسدين، ويؤكد ـ أيضاً ـ تمسك الملك عبد العزيز بالجانب الديني في أفعاله المتمثل في هذه العدالة والمساواة بين الجميع أمام أحكام الشريعة الإسلامية الغراء.

وقد بلغ من فرط تعلق الملك عبد العزيز بالعدل وكرهه للظلم وحرصه الشديد على إشاعة العدل بين المواطنين ورغبته في أن تصل إليه شكوى المظلوم في أي منطقة من بلاده الواسعة، أن كتب بلاغاً عاماً للشعب عند دخوله الحرم النبوي الشريف سنة 1372هـ، وعلقه مخاطباً فيه شعبه يقول فيه: "من عبد العزيز بن عبد الرحمن بن سعود إلى شعب الجزيرة العربية، على كل فرد من رعيتنا يحس أن ظلماً وقع عليه، أن يتقدم إلينا بالشكوى، وعلى كل من يتقدم بالشكوى أن يبعث بها بطريق البرق أو البريد المجاني على نفقتنا، وعلى كل موظف بالبريد أو البرق أن يتقبل الشكاوى من رعيتنا، ولو كانت موجهة ضد أولادي أوأحفادي أو أهل بيتي، وليعلم كل موظف يحاول أن يثني أحد أفراد الرعية عن شكواه مهما تكن قيمتها أو حاول التأثير عليه ليخفف من لهجتها أننا سنوقع عليه العقاب الشديد، لا أريد في حياتي أن أسمع عن مظلوم ولا أريد أن يحملني الله وزر ظلم أحد،أو عدم نجدة مظلوم أو استخلاص حق مهضوم، ألا قد بلغت، اللهم فاشهد"[٨٣].

فأي عدل هذا الذي يذكرنا ويقربنا من العهود الزاهية من الحكم الإسلامي، وهكذا يقترن القول بالعمل، وله مواقف ومآثر تؤكد ذلك، فهو الذي يقول في إحدى خطبه: "الناس أحرار في

---

٧٧ محمد المانع: توحيد المملكة العربية السعودية (326ـ 328)، وانظر نحو ذلك عند: الزركلي: شبه الجزيرة:(482/2).

٧٨ أمين الريحاني: ملوك العرب (72/2ـ74).

٧٩ نفسه:(72/2ـ73).

٨٠ نفسه: (73/2) وما بعدها، ثم انظر: صلاح الدين المختار: تاريخ المملكة العربية السعودية (511/2) وما بعدها.

٨١ محمد السلمان: توحيد المملكة العربية السعودية (116ـ117).

٨٢ رابح لطفي جمعه: حالة الأمن في عهد الملك عبد العزيز (91)، محمد المانع: توحيد المملكة العربية السعودية(328)، عبد العزيز الأحيدب: ظاهرة الأمن في عهد الملك عبد العزيز (61)، محمد السلمان: توحيد المملكة العربية السعودية (118).

٨٣ الزركلي: شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز (615/2 و835/3)، الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز (187)، علي البرماوي: قلعة الإسلام ومؤسسها العظيم (74)، بركات بله: قضية الأسبوع، مجلة اليمامة، العدد:(820)، ذو الحجة 1404هـ،ص:(5).

مآكلهم ومشاربهم ومرازقهم ونزههم، ومن أُعتدي عليه فليراجعني لأنصفه، ولو جاءني أي إنسان وقال: إن ولدي فيصل أخذ مالي واعتدى عليّ، فإن رآني أنصفته منه علم أني أقول وأصدق في القول، وإن رآني أهملته، وساعدتُ ولدي على ظلمه فعند ذلك يكون له الحق عليّ..."[٨٤].

وهكذا يكون حمل الأمانة وتحمل المسؤولية التي كان يتمتع بها الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ وهذا لا يتأتى إلا من رجل ملأ الإيمان قلبه، وقرن القول بالعمل، ولذا مكّن الله ـ تعالى ـ له في الأرض ونصره ووفقه في جميع أموره، لأنه كان صادقاً مع الله، وما عاهد عليه، ينشد الحق، ويطبق العدل، وينصف المظلوم، وهو القائل: "إن باب العدل مفتوح للجميع على السواء، والناس كلهم كبيرهم وصغيرهم أمامه سواء حتى يبلغ الحق مستقره"[٨٥].

ويقول ـ أيضاً ـ مخاطباً بعض جلسائه: "قد فاتكم أن الراعي مسؤول عن رعيته، وقد فاتكم أن صاحب السيادة لا يستقيم أمره إلا بالعدل والإحسان..."[٨٦].

ويوضح الملك عبد العزيز قمة العدل وشموليته بقوله: "إنني مستعد للنظر في كل شكاية موقع عليها بإمضاء صاحبها، ومستعد زيادة على ذلك أن أقابل صاحب الشكاية إذا كانت لديه بيانات شفهية لا يحب كتابتها..."[٨٧].

وهكذا يكون القائد الذي يقتدي بهدي القرآن وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم في جميع أقواله وأفعاله، فلم يخرج الملك عبد العزيز عما جاء في القرآن الكريم وهدت إليه السنة، فكانت أعماله تتطابق مع أقواله، ومع ما قاله وحثّ عليه الحكماء والعارفون بعوامل ازدهار الحكم والملك، فالحكماء قالوا: "إمام عادل خير من مطر وابل" فكان ـ رحمه الله ـ مضرب المثل بعدله، في وقتٍ ندر فيه من يحكم بالعدل"[٨٨].

وقال الحكماء ـ أيضاً ـ: "مما يجب على السلطان أن يلتزمه العدل في ظاهر أفعاله لإقامة أمر سلطانه، وفي باطن ضميره لإقامة دينه"، وكان الملك عبد العزيز عادلاً في ظاهره وباطنه، ولم يكن ـ وهو الشجاع ـ ما يظهره غير ما يبطنه، والشجاعة في هذا الميدان أشرف منها في ميدان القتال، فَلِمَ يخفي غير ما يظهر، وهو الواثق من تصرفه؟![٨٩].

وقفت ذات يوم امرأة مسنة على باب قصره ـ رحمه الله ـ تشكو إليه أمر قضية في ميراث لها، وقالت: ليس لي من يدافع عن حقوقي، فناداها الملك عبد العزيز وأخذ ما بيدها من الأوراق ووعدها بأنه سيكون وكيلاً عنها في الدفاع، وبالفعل نظر في الحجج التي بيدها، وأرسل القضية إلى المحكمة الشرعية، وأخذ يسأل كل يوم عن تلك القضية حتى قررت المحكمة في شأنها، وأبلغ المرأة بالحكم، وأمر بإنفاذه[٩٠].

هكذا يكون الإمام العادل والحاكم المنصف الذي يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم، كان يدرك الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ أن هذه الدنيا فانية، وأن المرء لا ينفعه إلا صالح العمل، وصدق النية، والإخلاص لله ـ تعالى ـ في القول والعمل، وكان كذلك ـ إن شاء الله تعالى ـ.

وكان ـ رحمه الله ـ من شدة تدينه وقوة إيمانه وخوفه من الله ـ تعالى ـ ومراقبته له، يستدين من المواطنين ويوثق هذا الدين ويكتبه، وذلك في بعض أيام العسر التي مرت على هذه البلاد، ولكن الملك عبد العزيز ورجاله ظلوا أقوياء بإيمانهم بالله وثقتهم بنصره ـ تعالى ـ وحسن توكلهم عليه ـ جل شأنه ـ ثم بقوة الإرادة والعزيمة، التي لا تثني الرجال الأقوياء عن تحقيق مآربهم وبلوغ أهدافهم، بعد تأييد الله ـ تعالى ـ وتوفيقه لهم.

ونكتفي بذكر رسالة واحدة تدل على ما ذكرناه آنفاً أوردها الشيخ عبد العزيز بن عبدالمحسن التويجري[٩١]، ـ أحد معاصري الملك عبد العزيز ـ تقول الرسالة:

"بسم الله الرحمن الرحيم

---

٨٤ علي البرماوي: قلعة الإسلام (64).

٨٥ عبد الرحمن السبيت وآخرون: من وثائق الملك عبد العزيز (257)، بركات بله: قضية الأسبوع، مجلة اليمامة، عدد:(820)، شهر ذي الحجة 1404هـ، ص:(6).

٨٦ عبد العزيز شرف: عبد العزيز آل سعود وعبقرية الشخصية الإسلامية (339)، صالح العبود: عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (590).

٨٧ بركات بله: قضية الأسبوع، مجلة اليمامة، عدد:(820)، ذو الحجة 1404هـ، ص:(6).

٨٨ عبد العزيز شرف: الملك عبد العزيز آل سعود وعبقرية الشخصية الإسلامية (339)، عبد العزيز الخويطر: تراث وإرث نعتز به، مجلة المجلة العربية، عدد:(170)، شهر ربيع الأول، 1412هـ، ص:(15).

٨٩ عبد العزيز الخويطر: تراث وإرث نعتز به، مجلة المجلة العربية، عدد:(170)، السنة الخامسة عشرة، ربيع الأول 1412هـ، ص:(15).

٩٠ عبد المنعم الغلامي: الملك الراشد عبد العزيز آل سعود (350).

٩١ كان أحد رجال الملك عبد العزيز، وكان رئيساً لبيت مال سدير والزلفي، قبل أن ينتقل عمله للحرس الوطني، والآن يشغل منصب نائب رئيس الحرس الوطني المساعد.

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى من يراه، السلام وبعد: أخذنا من ناصر ابن حمد بن غيث 1300 ريال وعشرة أريل سلفة، أيضاً أخذنا منه 108 ريالات وخمس ليرات"[٩٢] .
(ختم الملك عبد العزيز)

ويعلق على هذه الرسالة الشيخ عبد العزيز التويجري بقوله: "هذه وثيقة تشير إلينا وإلى الأجيال الآتية أن هذا هو عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل في عسره ويسره، في عزيمته التي لا تهزم، في ورعه وأمانته على حقوق الناس البسطاء، والسؤال الذي يرد ويجب أن يرد على خاطر كل إنسان: أهذا المبلغ البسيط جداً قد حل مشكلة لعبد العزيز؟ وهل سد عوزاً؟ وهل وهل...؟ نطرح الأسئلة ونتركها لمن يستطيع أن يجيب عنها، أترى هذا المبلغ حاجة ليلة واحدة أم ليالٍ؟ الله أعلم، ولكن نقول: رحمك الله يا عبد العزيز، مع هذا كله خرجت من محنك وآلامك وعسرك إلى يسرنا الذي تعيشه بلادنا اليوم رخاءً وأمناً وعدلاً وشريعةً..."[٩٣] .

ونحن بدورنا نقول: إن من يتق الله ـ تعالى ـ يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ويبدل الله بعد عسره يسراً، وبعد ضيقه فرجاً، وما ذاك إلا من جملة الابتلاءات التي يبتلي الله بها أنبياءه وأولياءه وعباده المتقين.

((الجانب الديني في حياة الملك عبد العزيز المتعلق بعنايته بالعلم وتقديره للعلماء))

كان التعليم في بداية عهد الملك عبد العزيز يقوم على نظام التعليم القديم (التقليدي) المعروف بـ "الكتاتيب" ثم حلقات المساجد، ثم الرحلات لطلب العلم، وكانت تلك الكتاتيب منتشرة في شتى مدن وقرى نجد، ولكن التعليم الحديث لم يبدأ إلا بعد ضم الملك عبد العزيز للحجاز سنة 1344هـ، وذلك لوجود بعض المدارس الحكومية والأهلية التي أنشأتها الدولة العثمانية في مكة والمدينة، واهتم الملك عبد العزيز بذلك اهتماماً كبيراً فأصدر أمراً بإنشاء "مديرية المعارف" التي بدأت تزاول نشاطها غرة رمضان سنة 1344هـ، وحتى تكتمل مهام هذه المديرية وتؤدي رسالتها التعليمية على الوجه المطلوب في جميع أرجاء المملكة، أنشئ العديد من الإدارات التعليمية في مختلف المناطق، يتبع كلاً منها عدد من المدارس المتدرجة، وقد شهد النظام التعليمي تطوراً كبيراً في عهد الملك عبد العزيز، فانتشرت المدارس الابتدائية ومدارس محو الأمية، للحد من مشكلة الأمية، ومدارس دور الأيتام، وأنشئت المدارس الأهلية، فظهرت مدرسة الفلاح والنموذجية بجدة، والصولتية والترقي والفخرية بمكة المكرمة، ودار الحديث بالمدينة، ومدرسة الصحراء بالمسيجيد، وغيرها. ثم ظهرت في عهده ـ رحمه الله ـ المعاهد التي كانت النواة الحقيقة لإنشاء جامعات المملكة، ومن هذه المعاهد نذكر: المعهد العلمي السعودي بمكة المكرمة، وهو يعادل الدراسة الثانوية، ومعاهد المعلمين المتوسطة والعالية، والمعاهد الليلية، ومعهد الرياض العلمي الذي كان نواة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ولا ننسى "دار التوحيد" بالطائف، والتي كان الملك عبد العزيز يهتم شخصياً بها، وقد تخرج في هذه الدار العريقة التي أسسها علامة الشام الشيخ محمد بهجت البيطار، علماء أكفاء، في علوم الدين واللغة العربية، أسند إليهم القضاء في المملكة، ثم أنشئت ـ أيضاً ـ "كلية الشريعة" بمكة المكرمة، ومدرسة تحضير البعثات التي كانت تعد الطلبة وتؤهلهم لمواصلة التعليم في الخارج، وذلك لتسهيل مهمة بعث الطلاب إلى مصر للدراسة في الجامعات المصرية [٩٤] . إلى غير ذلك من الأعمال المجيدة التي قام بها الملك عبد العزيز في إصلاح التعليم ودعم المسيرة التعليمية لنشر العلم والمعرفة، لما لذلك من أثر إيجابي، فهي الأساس والمنطلق الحقيقي لنهضة الأمة، والتصدي للبدع والخرافات، وتنقية العقيدة الإسلامية من الشوائب، والحرص على إقامة التوحيد الخالص لله ـ عز وجل ـ قولاً وعملاً.

وفي هذا المقام يحسن بنا أن نذكر أن الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ لم تشغله حروبه في سبيل توحيد البلاد، وكذلك مختلف الأمور السياسية عن طلب العلم وتشجيعه ودعمه، فقد كان ينتقي عدداً من الكتب لتقرأ عليه في التوحيد والتفسير والحديث والتاريخ وغيرها، مثل كتاب "فتح المجيد شرح كتاب التوحيد" و "تفسير الطبري"، و"تفسير ابن كثير"، و "مسند الإمام أحمد" و"رياض الصالحين" و"سيرة ابن هشام" و"البداية والنهاية" و"السياسة الشرعية في إصلاح

---

٩٢ عبد العزيز التويجري: لسراة الليل هتف الصباح، الملك عبد العزيز دراسة وثائقية، صحيفة الشرق الأوسط، عدد:(6903)، في 1997/10/22م، ص:(20).

٩٣ نفسه ص:(20)، وقد صدرت هذه المذكرات مؤخراً في كتاب ضخم بنفس العنوان المذكور، وطبع بمطابع الحرس الوطني 1418هـ.

٩٤ انظر حول ذلك: عبد الله أبو راس، وبدر الدين أديب: الملك عبد العزيز والتعليم (145ـ 163)، محمد السلمان: توحيد المملكة العربية السعودية (72ـ73)، حسني عبد الحافظ: الملك عبد العزيز والنقلة الحضارية للجزيرة العربية، مجلة الفيصل، عدد:(252)، شهر جمادى الآخرة 1418هـ ،ص:(27ـ 28)، وتعتبر كلية الشريعة بمكة المكرمة المنارة الأولى للتعليم العالي في المملكة، حيث أنشئت سنة 1368هـ، وهي نواة جامعة أم القرى في الوقت الحالي.

الراعي والرعية" لشيخ الإسلام ابن تيمية [٩٥] ، وغيرها من الكتب التي أثرت ثقافة الملك عبد العزيز ـ رحمه الله ـ.

ولمعرفته ـ رحمه الله ـ بأهمية العلم ومكانته وتأثيره وصقله لشخصية المرء وفائدته، حرص على تعليم أبنائه، كي يكون قدوة لهم ولغيرهم، فأنشأ لهم (مدرسة الأمراء) في مدينة الرياض، ولكي يؤكد الاتجاه السلفي في التعليم الحديث أنشأ (دار التوحيد) في الطائف سنة 1364هـ[٩٦] ، ـ كما أسلفت ـ ثم استمرت عنايته بالتعليم الحديث حتى قطعت المملكة شوطاً كبيراً في هذا الجانب المهم، ثم أكمل المسيرة أبناؤه البررة، حتى وصل التعليم وتطوره إلى ما نحن عليه اليوم ولله الحمد والمنة.

أما عن تقديره ـ رحمه الله ـ للعلماء فقد كانت لهم المكانة المرموقة عنده، حيث كان يكبرهم ويجلهم ويبالغ في إكرامهم ويقدمهم على إخوانه وأبنائه وكبار جلسائه ويصغي إليهم ويأخذ بآرائهم، ويلجأ إليهم في الأمور الدينية والتشريعية التي تحتاج إلى توضيح وتفسير، وكانت مجالسه مجالس علم، له جلسة علم معهم بعد صلاة العشاء في القرآن وتفسيره، وجلسة كل يوم خميس من كل أسبوع، كما كان يلتقي في موسم الحج ببعض علماء البلدان الإسلامية، ويناقش معهم القضايا التي تهم الأمة الإسلامية، ومن أولئك الشيخ عبد المجيد سليم شيخ الأزهر، والشيخ محمد رشيد رضا، صاحب المنار، والشيخ محمود شكري الألوسي، من العراق، والشيخ محمد الفقي، من مصر، والشيخ بهجة البيطار من الشام، وشكيب إرسلان من لبنان، وغيرهم، كما بثّ الدعاة والمرشدين إلى العالم الإسلامي [٩٧] . وكان يحترم العلماء كثيراً ويوقرهم، ويشعر بهيبة بعضهم منهم، حتى أنه كان يقول: "ما لقيت الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف آل الشيخ، إلا تصبّب العرق من إبطي"[٩٨] وذلك من هيبة العلم وتوقير العلماء.

وكانت لديه بصيرة علمية، حيث كان يحب الانتفاع بالعلوم الحديثة، فيأخذ من الحضارة والمدنية أفضل ما فيها ليطبقها في بلاده، ويترك منها ما يخالف الإسلام، ومع ذلك يؤمن بأن العلم وحده لا يكفي بدون عمل، ويحسن بنا أن نتمعن في مستهل كلمته التي وجهها إلى خريجي المعهد العلمي السعودي الذين استقبلهم وقال لهم:

"أيها الأبناء، إنكم أول ثمرة من غرسنا الذي غرسنا بالمعهد، فاعرفوا قدر ما تلقيتموه من العلم، واعلموا أن العلم بلا عمل كشجرة بلا ثمر"[٩٩] .

ومما يدلل على تمسكه بالجانب الديني في مجال العلم والعلماء، عنايته واهتمامه بطباعة كتب السلف خدمة للدعوة السلفية ونشرها في الأقطار الإسلامية، مما كان له الأثر الكبير في نشر الوعي الإسلامي والثقافة الإسلامية الصحيحة، ولذلك لم يغفل ـ رحمه الله ـ عن تشجيع العلم والعلماء وذلك بطبعه نفائس من كتب العلوم الإسلامية أو شرائها وتوزيعها مجاناً خدمة للعلم وأهله، داخل المملكة وخارجها، وكان سخياً في الإنفاق على هذا العمل الخيري العظيم[١٠٠] ، لأنه يرجو ما عند الله ـ تعالى ـ من الثواب العظيم والأجر الكبير من خلال نشر وتوزيع هذه الكتب الإسلامية، وأثرها العظيم في تصحيح العقيدة الإسلامية، وترسيخ التوحيد الخالص في نفوس الناس سلوكاً وعملاً.

---

٩٥ محمد السلمان: توحيد المملكة العربية السعودية (129ـ 130)، علي البرماوي: قلعة الإسلام (87ـ88).

٩٦ محمد السلمان: توحيد المملكة العربية السعودية (190)، علي البرماوي: قلعة الإسلام (88)، وذكر أن الملك عبد العزيز زار هذه المدرسة وحينما قابل تلاميذها كان من بينهم تلميذ حاول أن يداري بيده بقعة من الحبر وقعت على ثوبه، ولاحظ الملك عبد العزيز حرجه، فابتسم له قائلاً: "لا تخفها هذا عطر المتعلمين".

٩٧ الزركلي: الوجيز (197)، محمد الشتري: منهج الدعوة في عهد الملك عبد العزيز (279/1)، سعود الدريب: الملك عبد العزيز ووضع قواعد التنظيم القضائي في المملكة= =(27)، محمد السلمان: توحيد المملكة العربية السعودية (130ـ131)، علي البرماوي: قلعة الإسلام (87ـ88)، عبد الله حمد الحقيل: عناية الملك عبد العزيز بالعلم واهتمامه بالعلماء، مجلة الدارة، العدد الثاني، السنة 13، شهر محرم، 1408هـ، ص:(197).

٩٨ الزركلي: الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز (197)، محمد السلمان: توحيد المملكة العربية السعودية (131).

٩٩ علي البرماوي: قلعة الإسلام ومؤسسها العظيم (88).

١٠٠ حافظ وهبه: خمسون عاماً في جزيرة العرب (42)، عبد الله الحقيل: عناية الملك عبد العزيز بالعلم وهتمامه بالعلماء (197).

وكانت هذه الكتب تطبع في الداخل، وبعضها طبع في مصر والشام والهند، لأن المطابع الداخلية لم تفي بطباعة تلك الكتب الكثيرة، حيث لم تكن هناك سوى ثلاث مطابع بمكة، وثلاث أخرى في جدة، ومطبعة واحدة في المدينة اشتُريت من مصر سنة 1355هـ[١٠١] .

والآن نوضح أهم هذه الكتب التي طبعت ووزعت على نفقة الملك عبد العزيز ـ يرحمه الله ـ: ففي الفقه وأصوله طُبع كتاب "المغني والشرح الكبير" لموفق الدين وشمس الدين ابني قدامة في اثني عشر مجلداً، وقد قال الشيخ محمد رشيد رضا عنه: "إنه إذا يسّر الله ـ تعالى ـ لكتاب المغني من يطبعه فأنا أموت آمناً على الفقه الإسلامي أنه لا يموت"[١٠٢] .

وقد تحققت ـ بحمد الله ـ أمنية الشيخ محمد رشيد رضا، بطبع الملك عبد العزيز لهذا الكتاب وغيرها من الكتب الإسلامية. وطبع كذلك كتاب "روضة الناظر" لابن قدامة، و"كشاف القناع" للبهوتي، و"زاد المستقنع" و"عمدة الفقه" لموفق الدين ابن قدامة، و"مناقب الإمام أحمد" لابن الجوزي، و"العقود الدرية في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية" لابن عبد الهادي، وكتاب"التوحيد وإثبات صفة الرب عزوجل"، لابن خزيمة، و"مجموعة التوحيد" للشيخ محمد بن عبد الوهاب وآخرين، و"فتح المجيد شرح كتاب التوحيد" لعبد الرحمن بن حسن، و"مجموعة المتون في الفقه والتوحيد" لبعض علماء نجد، و"الثلاثة الأصول والأربعة القواعد" للشيخ محمد بن عبد الوهاب، و"مجموعة رسائل وفتاوى" لشيخ الإسلام ابن تيمية، و"مجموعة الرسائل والمسائل النجدية" لجماعة من علماء نجد، و"الدرر السنية في الأجوبة النجدية" لجماعة من علماء نجد، وكتاب "التوسل والوسيلة" و"منهاج السنة" وعلى هامشه كتاب "موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول" وهما لابن تيمية، و"شرح العقيدة الطحاوية" و"مناسك الحج على المذاهب الأربعة" لابن حسن وابن مانع، و"تفسير القرآن الكريم" للإمامين ابن كثير والبغوي، و"أوضح البرهان في تفسير أم القرآن" للمعصومي، و"البداية والنهاية" لابن كثير، و"طبقات الحنابلة" لابن أبي يعلى، و"روضة الأفكار تاريخ ابن غنام"، وكتاب "السنة" لعبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل، و"جامع الأصول" لابن الأثير، و"شرح تهذيب سنن أبي داود" لابن القيم، و"معالم السنن" للخطابي، و"مختصر السنن" للمنذري، و"عمدة الأخبار في مدينة المختار" لأحمد بن عبد الحميد العباسي، و"يسر الإسلام" لمحمد رشيد رضا، و "تاريخ القرآن الكريم وغرائب رسمه وحكمه" لمحمد طاهر الكردي، ومن كتب الردود: "الصواعق المرسلة" لابن قيم الجوزية، وكتاب "تأسيس التقديس في كشف تلبيس دواد بن جرجيس" للشيخ عبد الله بن عبدالرحمن بن حسن، وكتاب " الألسنة الحداد في كشف شبهات علوي الحداد" للشيخ سليمان بن سحمان، وغيرها من الكتب الكثيرة التي طبعت على نفقته في الهند ومصر لم يذكر عليها اسمه إلا ما جاء على بعض مطبوعاته في الهند من أنها: "طبعت على نفقة من قصده الثواب من رب الأرباب"[١٠٣] .

وكانت للملك عبد العزيز مكتبته الخاصة، وهي خير شاهد على ما ذكرناه سابقاً، حيث تعكس مدى اهتمامه بعلوم الدين الإسلامي وكتب العقيدة ودعوته المستمرة للتمسك بمبادئ الشرع والعمل بأحكامه، وتحتوي المكتبة على 1551 مجلداً في شتى فروع العلم والمعرفة، بالإضافة إلى الموسوعات العلمية، وقد لقيت مكتبة الملك عبد العزيز اهتماماً بالغاً، كان لجامعة الملك سعود شرف استلامها، فاهتمت بتجليد مجموعاتها للحفاظ عليها، وعندما أنشئت "دارة الملك عبد العزيز" بالمرسوم الملكي رقم م/ 45 وتاريخ 1392/8/5هـ، انتقلت المكتبة إلى الدارة، ووضعت بقاعة مستقلة وقد رُتّبت موضوعاتها واستكملت فهارسها، وتضم المكتبة المكتب الذي أهداه إليه الرئيس الأمريكي ترومان في عام 1370هـ ـ 1950م[١٠٤] ، رحم الله الملك الصالح المؤسس وجزاه عن خدمته لدينه وأمته خير الجزاء.

---

١٠١ الزركلي: الوجيز في سيرة الملك عبد العزيز (335)، محمد الشتري: الدعوة في عهد الملك عبد العزيز:(505/2).

١٠٢ محمد السلمان: توحيد المملكة العربية السعودية (160).

١٠٣ الزركلي: الوجيز (338،339)، عبدالمنعم الغلامي: الملك الراشد: عبد العزيز آل سعود (386ـ 387)، حسني عبد الحافظ: الملك عبد العزيز والنقلة الحضارية للجزيرة العربية، مجلة الفيصل، عدد:(252)، ص:(28)، عبد الله الحقيل: عناية الملك عبد العزيز بالعلم واهتمامه بالعلماء، مجلةالدارة، العدد الثاني، السنة الثالثة عشرة، محرم 1408هـ، ص 197، 198)، محمد الشتري: الدعوة في عهد الملك عبد العزيز (502/2) وما بعدها. ويذكر أكثر الباحثين أن الكتب التي طبعت على نفقته ـ رحمه الله ـ قاربت المائة كتاب، كما أمر بشراء مجموعات من كتب التفسير والحديث والتاريخ لتوزيعها مجاناً.

١٠٤ مجلة اليمامة، تحت عنوان: "كتب ومخطوطات نادرة تضمها مكتبة الملك عبد العزيز" عدد:(820)، ص:(24)، عبد الله الحقيل: عناية الملك عبد العزيز بالعلم واهتمامه بالعلماء ص:(199).